واجبات المسلمين نحو القرآن الكريم

د. محمد بوركاب

جامعة الأمير عبد القادر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلق أجمعين، وبعد،

آيتان عظيمتان في كتاب الله تعالى كلما قرأتهما وتدبرتهما ازددت تعظيما وإجلالا وحبا لخالقي ورازقي ومدبر جميع شؤوني، وازددت خجلا وحياء من الحنان المنان –الذي سبقت رحمته غضبه– على تقصيري وبعدي عن أعتاب بابه، وذرفت دموعي وخشع قلبي وجوارحي لجبروته وكبريائه، فاللهم لطفك وسترك وعفوك يا أكرم الأكرمين ويا قيوم السموات والأرضين.

فأما الآية الأولى فهي قوله تعالى: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾[الأنبياء: 10]، وأما الثانية فهي قوله جل جلاله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾[الزخرف: 42]. فالقرآن شرفنا وعزنا يا مسلمون؛ فهو شرف لنبينا ﷺ لأنه معجزته، ولأنه كان مصحفا يمشي إلى الأرض كما تروي السيدة عائشة عندما سئلت عن أخلاقه فقالت –رضي الله عنها «كان خلقه القرآن»[1]، وهو شرف لنا أيضا –كما ذكر ربنا– إن عملنا بمقتضاه ورضيناه حكما بيننا ومنهاجا في جميع شؤون حياتنا امتثالا لقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾[المائدة:49].

ولئن اختلف المفسرون في قوله تعالى﴿ولقومك﴾في الآية الثانية أهم قريش أم من اتبعه من أمته؟فإن الصحيح كما ذكرالقرطبي وغيره أنه شرف لكل من عمل به[2]؛قرشياكان أم غير

---

[1] ــ أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص115 (رقم 308)، وخلق أفعال العباد، ص87؛ وأحمد في المسند، 91/6، 163، 216؛ والطبراني في الأوسط، 30/1.

[2] ــ انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 273/11، 94/16.

قرشي،ويؤكد ذلك قوله ﷺ:«آل محمد كل تقي»[1]،وعلى افتراض أن الشرف في الآية الثانية خاص بقريش؛فإنه في الآية الأولى-﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾-عام يشمل جميع من تمسك به.

فمن نكون نحن يا مسلمون حتى يشرفنا الله تعالى بكتابه؟ ومن نكون نحن حتى بعث فينا نبيه محمدا ﷺ يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبله لفي ضلال مبين؟ ومن نكون حتى يذكرنا الله تعالى في الملإ الأعلى ويباهي بنا ملائكته؟ أم أننا نسينا ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2]، أم أننا نسينا ما جاء في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه»[3]. إنها والله نعمة هي من أعظم النعم ولكننا عنها غافلون، مع أننا عن شكرها يوم القيامة موقوفون فمسؤولون ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ فما نحن قائلون؟

فعلينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ونزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، ونتأهب إلى العرض الأكبر بالتزام واجباتنا نحو كتاب ربنا حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ [الفرقان:30]،وإن من أوجب الواجبات علينا أن نعيش مع كتاب الله تعالى ترتيلاوحفظا،وتدبرا وفهما،وخشوعا وبكاء، وتطبيقا وسلوكافي جميع شؤون حياتنا.

---

[1] ـ أخرجه الطبراني في الأوسط، 338/3 (رقم 3332)؛ والصغير، 199/1 (رقم 318). قال الهيثمي في مجمع الزوائد [269/10]: «فيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف».

[2] ـ رواه مسلم في الذكر؛ باب في الاجتماع على تلاوة كتاب الله (رقم 2701).

[3] ـ رواه مسلم في الذكر؛ باب الترغيب في ذكر الله (رقم 2699).

أولا: أن نعيش مع كتاب الله تعالى ترتيلا و حفظا:

إن تلاوة كتاب الله هي من أعظم القربات عند الله تعالى؛ فالاشتغال بالتلاوة أفضل من الاشتغال بالذكر والدعاء في غير مواطنها المخصوصة شرعا كالأذكار والأدعية المأثورة في السجود ودبر الصلوات ونحوها، فإن الإتيان بها في تلك الأوقات أفضل، وما عدا ما خصه الشرع فإن الاشتغال بالتلاوة أفضل؛ لأن القرآن الكريم ذكر ودعاء وزيادة، فضلا عن كونه كلام الباري جل جلاله، وقد جاء في الحديث القدسي: «من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1].

والذي يؤكد هذه الأفضلية الفوائد الكثيرة والمنن الجليلة التي تفضل بها المولى جل جلاله على قارئ القرآن، ونظرا لكثرتها سأقتصر على ذكر أهمها، وهي:

1-القرب من الله تعالى: إن قارئ القرآن يكون قريبا من الله تعالى كما أخبرنا بذلك سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: «إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[2].

ومن كان قريبا من الله هيهات لمخلوق -كائنا من كان- أن يصل إليه بسوء؛ لأنه في حصن الله الحصين، ولئن حصل له شيء من ذلك فإنما بإذن الله تعالى، اقتضته سنة الابتلاء لتكفير السيئات ورفع الدرجات، ثم تنكشف الفتنة ليخرج منها سالما غانما منتصرا بفضل مولاه الذي حصنه وكلأه بعين عنايته وأتم رعايته.

---

[1] ـ أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (رقم 2926) وقال: «حديث حسن».

[2] ـ رواه النسائي في الكبرى: فضائل القرآن؛ والدارمي 433/2، وأحمد 127/3، 128؛ والحاكم في فضائل القرآن 139/1؛ وقال فيه البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله موثوقون. مصباح الزجاجة، 91/1.

2–زيادة الإيمان: قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[الأنفال: 02]، وقال: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾[التوبة:124].

وليس هذا فحسب، بل إن تلاوة القرآن بتدبر لهي أقرب طريق يوصل المرء إلى الإيمان ويخرجه من دائرة التيه والضلال إلى دائرة الهداية والرشاد، وكيف لا وقد قال الحق –جل وعلا– : ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾[آل عمران: 101]، وقال أيضا: ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾[العنكبوت: 50-51].

3– جلاء القلوب من قسوتها: عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قالوا: يا رسول الله، فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن»[1]، فما أكثر الذين يشكون من قسوة في قلوبهم؟ بل، ومن منا لا يشكو من ذلك؟ ولكن ما أقل من استعمل الدواء الذي وصفه حبيبنا محمد ﷺ.

4–الثواب العظيم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول "ألم" حرف، ولكن: "ألف" حرف، و"لام" حرف، و"ميم" حرف»[2].

5–الأمن والبشارة والوقاية من العذاب: عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اقرءوا القرآن؛ فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله تعالى، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر»[1].

---

[1] ـ أخرجه البيهقي في الشعب، 579/4، 580؛ والخطيب في تاريخ بغداد،85/11؛ وذكره الغزالي في الإحياء، 244/1 وضعف العراقي سنده.

[2] ـ أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (رقم 2910). وقال: حديث حسن صحيح؛ والحاكم في المستدرك 1 /566؛ وغيرهما.

6–الرفعة في الدنيا والآخرة: فصاحب القرآن مرفوع في دنيا الناس ولو لم يكن من أهل الجاه والسلطان، وشواهد ذلك كثيرة منها: أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي تلقى عمر بن الخطاب ﷺ وكان قد استعمله على مكة، فسلم على عمر، فقال له: من استخلفت على أهل الوادي؟ فقال نافع: استخلفت عليهم ابن أبزى، فقال عمر: ومن ابن أبزى؟ فقال: هو من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟! فقال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»[2]، وأما الآخرة فحسبه قوله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»[3].

7–الشفاعة: عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[4]، وشفاعة القرآن لصاحبه أوثق وأتم؛ لأنها مانعته من الدخول في العذاب، وشفاعة غيره مخرجة لها منه بعد وقوعه فيه، ولذا قال الإمام الشاطبي: «وإن كتاب الله أوثق شافع»[5]، وليس هذا فحسب، بل إن هذه الشفاعة تتعدى غير صاحب القرآن لتشمل والديه وأناسا آخرين على ما سيأتي.

أعود فأقول: إن الفوائد كثيرة، ولولا أن المقام يقتضي الاختصار لذكرت الكثير منها، ولكن فيما ذكرته ما يغني ويشحذ الهمم للعكوف على تلاوة القرآن الكريم، ولو لم نغنم من

---

[1] ـ أخرج بعض ألفاظه: الحاكم في المستدرك، 741/1؛ والدارمي في السنن، 525/2.

[2] ـ أخرجه مسلم في فضائل القرآن؛ باب من يرفع بالقرآن (رقم 2102).

[3] ـ أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (رقم 2914) وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وأبو داود في الصلاة (رقم 1464).

[4] ـ أخرجه مسلم في فضائل القرآن (رقم 2095).

[5] ـ انظر: سراج القارئ لابن القاصح ص6، طبعة دار الفكر، بيروت.

تلاوته إلا أنه يقربنا من الله ﷻ ويزيدنا إيمانا ويذهب قسوة قلوبنا لكفانا ذلك شرفا وفخرا، ولكفانا ذلك حافزا ودافعا، ولكن كيف يجب أن تكون هذه التلاوة؟ أنقرؤه كما نقرأ سائر الكتب؟ أم أننا مطالبون بتلاوته كما يحب ربنا ويرضى وكما علمنا رسول الله ﷺ؟

أظن أن السؤال لا يحتاج إلى جواب؛ لأنه أصبح معلوما لدى كل مسلم أنه يجب عليه وجوبا عينيا أن يقرأ كتاب الله مرتلا مجودا كما أنزله الباري جل جلاله.

والدليل على ذلك من الكتاب قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[المزمل: 03] والأمر إذا أطلق وتجرد عن القرينة انصرف للوجوب. وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾[البقرة: 121]، ومفهومه أن الذي لا يتلوه حق تلاوته يدخل في الذين كفروا به، ولكنه في المسلم كفر نعمة لا كفر ملة مما يدل على وجوب ترتيله.

ومن السنة قوله ﷺ «اقرءوا القرآن كما علمتم»[1]، وقد التزم الصحابة ﷺ بذلك فكانوا لا يقرءون إلا بالكيفية التي تلقوها من رسول الله ﷺ؛ من ذلك ما رواه مسعود بن يزيد الكندي قال: «كان ابن مسعود يقرئ رجلا فقرأ الرجل:"إنما الصدقات للفقراء" مرسلة –أي من غير مد– فقال ابن مسعود:ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال:وكيف أقرأكها؟ قال:"إنما الصدقات للفقراء" فمد الفقراء»[2].

فقراءة القرآن بالترتيل والتجويد فرض عين على كل مكلف، ولذا قال ابن الجزري: «وإنما قلت: التجويد فرض لأنه متفق عليه بين الأئمة، بخلاف الواجب؛ فإنه مختلف فيه»، وقد تبعه في ذلك كثير من العلماء[3]. وقال في المقدمة الجزرية:

---

[1] ـ رواه أبو يعلى بلفظ: «اقرءوا كما علمتم»، المسند، 470/8 (رقم 5057). ويروى عن الإمام علي بلفظ: «إن رسول الله يأمركم أن تقرءوا كما علمتم»، أخرجه: ابن حبان في صحيحه،21/3؛ وأحمد في المسند، 105/1. وقال المقدسي في الأحاديث المختارة، 237/2: «إسناده صحيح».

[2] –أخرجه الطبراني في الكبير،وسعيد بن منصور في سننه،ورجاله ثقات،انظر القول السديد لمحمد بن علي الحسيني،ص04.

[3] ـ انظر تفصيل ذلك في رسالة: "القول السديد في بيان حكم التجويد" لمحمد بن علي بن خلف الحسيني، شيخ القراء بمصر سابقا، طبعة بابي الحلبي، القاهرة.

والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا   وهكذا منه إلينا وصلا

والترتيل كما فسره الإمام عليﷺ هو: «تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»[1]، وقد جاء تعريفه جامعا مانعا لأنه شمل العلمين معا: علم التجويد، وعلم الوقف والابتداء.

الأول: علم التجويد، وهو في اللغة: التحسين، وفي الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات، مع إتمام حركاته وسكونه[2].

وحق الصفة: أن نعطي الحرف صفاته الذاتية من جهر وهمس ورخاوة وشدة واستعلاء واستفالة وقلقلة ونحو ذلك من الصفات السبع عشرة.

ومستحق الصفة: أن نعطيه الصفات المكتسبة التي تلحقه نتيجة تغير حركاته كالتفخيم والترقيق بالنسبة للراء واللام، أو نتيجة مجاورته لحروف أخرى كأحكام النون الساكنة والتنوين والمدود ونحو ذلك.

والمراد بإتمام الحركات والسكون: أن نعطي الحرف حركته الكاملة وسكونه الكامل حتى لا يشم الحرف بحركة أخرى مغايرة لحركته، ولذا قال العلامة المقرئ شهاب الدين الطيبي الدمشقي (ت 979هـ)[3]:

وكل مضموم فلن يتما   إلا بضم الشفتين ضما
وذو انخفاض بانخفاض للفم   يتم والمفتوح بالفتح افهم
إذ الحروف إن تكن محركه   يشركها مخرج أصل الحركه
أي مخرج الواو ومخرج الألف   واليا في مخرجها الذي عرف

---

[1] ـ انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 209/1، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

[2] ـ هذا التعريف للباحث استخلصه من خلال تعاملي مع هذا العلم رواية ودراية وتعليما.

[3] -في منظومته المسماة "المفيد في التجويد"من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق،ضمن مجموع رقمه(3624).

فإن تر القارئ لـــن تنـــطبقا شفاهه بالضـــم كـــن محقـــقا
بأنـــه منتقـــص مـــا ضـــما والواجـــب النطـــق به متـــما
كذلك ذو فتـــح وذو كسر إتمام كل منهما افهمه تصـــب

الثاني: علم الوقف والابتداء: وبه يعرف المسلم أين يقف وأين لا يقف، وإذا وقف اختيارا أو اضطرارا كيف يبتدئ؟ والعمل به واجب لأنه وسيلة إلى تدبر كتاب الله وفهم معانيه، وهو المقصد الذي أنزل القرآن لأجله﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص: 29] وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يمكن للإنسان أن يقف وقفا صحيحا غير قبيح إلا إذا كان قلبه حاضرا، وعقله مفكرا متأملا، قال الإمام ابن الجزري: «ففي كلام علي ﷺ دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح... ومن ثم اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا بالأصابع، سنة أخذوها عن شيوخهم الأولين»[1].

ومما يؤسف له أن كثيرا ممن يهتم بالتجويد في عصرنا من أئمة المساجد وقراء المناسبات وغيرهم أغفلوا علم الوقف والابتداء مع أنه الركن الثاني من الترتيل الذي كلفنا الباري جل جلاله به، وراحوا يقفون وقوفا قبيحة ويبتدئون ابتداءات قبيحة؛ من ذلك أني صليت التراويح وراء إمام حسن الصوت جيد القراءة، وهو في عرف الناس من القراء المجودين، فقطع قراءته في الركعة الأولى عند قوله تعالى من سورة "يس": ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون﴾ ثم ابتدأ في الركعة الثانية بقوله تعالى: ﴿إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة﴾... [يس: 25-26]، فيا عجبا كيف جمع بين الضلال والإيمان ليحصل على الجنة؟! والأمثلة من هذا القبيل كثيرة لا يسع المقام لذكرها.

---

[1] ـ انظر: النشر في القراءات العشر 225/1. مرجع سابق.

قال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما-: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ فاتحته إلى خاتمته؛ ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثر نثر الدقل»[1].

فإذا علمنا حقيقة الترتيل وأنه فوض عين على كل مسلم، بقي علينا أن نعلم أن تحصيله وبلوغ غايته لن يتما إلا بالتلقي من أفواه المشايخ القراء الموصول سندهم بالحضرة الإلهية، قال الإمام ابن الجزري: «والأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وأحكامه، متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها»[2]، وهو ما دل عليه المنقول والمعقول:

أما المنقول فقوله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»[3]، وقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد»[4]، ويقصد بذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فأرشدنا ﷺ في الحديثين إلى تلقي القرآن من أفواه القراء المتصل سندهم بالحضرة الإلهية.

---

[1] ـــ أخرجه ابن النحاس بسنده في القطع والائتناف، ص78، نقلا عن المكتفى في الوقف والابتداء للداني، وعزاه السيوطي للبيهقي في سننه. انظر: الإتقان في علوم القرآن، 85/1؛ والنشر لابن الجزري، 225/1.

[2] ـــ النشر، 210/1.

[3] ـــ أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (رقم 3548)؛ ومسلم في فضائل أصحاب النبي ﷺ (رقم 1696).

[4] ـــ أخرجه: البخاري في خلق أفعال العباد، ص68؛ وابن حبان في صحيحه، 542/15 (رقم 7066)، 15/ 543 (رقم 767)؛ والحاكم في المستدرك، 247/2، 359/3؛ وابن ماجة في السنن، 49/1 (رقم 138)؛ وأحمد في المسند، 07/1.

وأما المعقول: فإن القارئ لا يمكنه معرفة التسهيل والإمالة والروم والإشمام ومراتب المدود ونحو ذلك إلا بالسماع والإسماع، والوسائل تأخذ حكم غاياتها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والحاصل أنه لا بد من التلقي من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين، ولا يعتد بالأخذ من المصاحف من دون معلم أصلا ولا قائل بذلك، ومرتكبه لا حظ له في الدين لتركه الواجب وارتكابه المحرم[1]، فإذا ثبت ذلك فعلينا أن نجلس إلى أولئك المشايخ القراء الذين من الله عليهم بفضله كي نصحح قراءتنا لننال هذا الشرف العظيم؛ شرف الانتساب إلى هذا السند المتصل بالحضرة الإلهية ﴿ورتلناه ترتيلا﴾[الفرقان: 32]، فإذا فعلنا ذلك دخلنا تحت قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2]، وقوله: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»[3]، بل دخلنا تحت قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾[البقرة: 121].

وأما حفظ القرآن الكريم فإنه واجب كفائي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وأولى الناس بالقيام بهذا الواجب طلاب الشريعة والدعاة وأئمة المساجد ثم الذين يلونهم.

فلنبادر إلى حفظ كتاب ربنا لننال الشرف العظيم الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ حيث قال: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»[4]، ولنكون يوم القيامة شفعاء لوالدينا وذوينا وأصدقائنا مصداقا لقوله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور، ضوءه مثل الشمس، ويكسى ولداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[5]، وعن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن فاستظهره ـأي

---

[1] ـ انظر: القول السديد في بيان حكم التجويد، ص5، مرجع سابق.

[2] ـ رواه أصحاب الكتب السنة إلا مسلما، واللفظ للبخاري في فضائل القرآن (رقم 1733).

[3] ـ رواه مسلم في فضائل القرآن (رقم 2105).

[4] ـ ذكره صاحب الكنز 510/5 (رقم 2259)، وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف.

[5] ـ رواه الحاكم وصححه، المستدرك، 756/1 (رقم 2086).

حفظه- فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار»[1].

ولئن فاتنا حفظه كله لظروف معينة فلا نحرم أنفسنا من حفظ بعض أجزائه، كل على حسب طاقته، حتى لا ينطبق علينا قوله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[2]، ثم ينبغي علينا أن نحفظه لأولادنا وبناتنا حتى يشفعوا لنا يوم القيامة ببركة القرآن العظيم. ولنتعاهده بكثرة المراجعة حتى لا يفلت منا لقوله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها»[3]. ولنجتهد في الابتعاد عن المعاصي ما استطعنا إلى ذلك سبيلا؛ لأن نور الله لا يهدى لعاص، قال الضحاك بن مزاحم: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيدكم ويعفو عن كثير﴾[الشورى: 30]، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»[4].

ثانيا-أن نعيش مع كتاب الله تعالى تدبرا وفهما:

قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[ص: 29] وقال أيضا: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[محمد: 24]، فثبت من خلال هاتين الآيتين وغيرهما أن التدبر -الذي هو النظر والتأمل والتفكر-مطلوب منا على سبيل الوجوب،

---

[1] ـ رواه الترمذي من طريق حفص بن سليمان في فضائل القرآن (رقم 2905) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بصحيح، وحفص بن سليمان يضعف في الحديث»، وقال فيه القرطبي في التذكار ص63: «هذا الحديث وإن كان في إسناده مقال فإن العلماء مجمعون على القول به».

[2] ـ رواه الحاكم في المستدرك، 741/1 وقال: صحيح الإسناد؛ والترمذي في فضائل القرآن؛ باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من أجر، 177/5 (رقم 2913) وقال: حسن صحيح.

[3] ـ رواه البخاري في فضائل القرآن (رقم 1736)؛ ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (رقم 791). و"عقلها" جمع عقال، وهو الحبل.

[4] ـ انظر: الجامع لأحكام القرآن، 30/16، مرجع سابق.

لأن بدونه لا يتحقق المقصود الذي أنزل القرآن من أجله، ألا وهو فهمه قصد امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولذا نقل الإمام القرطبي عن جماعة من العلماء أنه «يجب على القارئ إحضار قلبه والتفكر عند قراءته لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب عباده، ومن قرأه و لم يتفكر فيه وهو ممن يتسنى له ذلك كان كمن لم يقرأه»[1].

ولقد كان التفكر والتدبر الشغل الشاغل أثناء التلاوة لدى الرعيل الأول، وقدوتهم في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ الذي روي عنه أنه لم يزل يردد قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[المائدة: 120] حتى أصبح[2]، وهو الذي تروي عنه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه «لما أنزل عليه قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾[آل عمران: 190] قام يصلي فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي، فقال:يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا؟ ولقد أنزل الله علي الليلة آية: ﴿إن في خلق السموات ... ﴾ ثم قال: ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها»[3].

فلما طرق سمعهم هذا الحديث وأمثاله، بل لما دخل سويداء قلوبهم قول الحق -تبارك وتعالى- ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾- لما حصل ذلك- جعلوا التفكر والتدبر شغلهم الشاغل أثناء التلاوة، فبلغت أخبارهم الآفاق وانتشرت شرقا وغربا وتناقلها المسلمون جيلا بعد جيل.

فهذه أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- يروي عنها عباد بن حمزة، قال: «دخلت على أسماء -رضي الله عنها- وهي تقرأ ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾[الطور: 27]

---

[1] ـ التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، ص192.

[2] ـ رواه أحمد في المسند، 149/5؛ والنسائي في افتتاح الصلاة، 177/2؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

[3] ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب الرقائق (رقم 619)؛ وذكره ابن كثير في تفسيره، 181/2.

فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو فطال علي ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو»[1].

وهذا تميم الداري ﷺ كرر هذه الآية حتى أصبح، وهي ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[الجاثية: 21]، وقال القاسم: «رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[البقرة: 281] فرددها بضعا وعشرين مرة»، وقال محمد بن كعب: «لأن أقرأ "إذا زلزلت" و"القارعة" أرددها وأتفكر فيها أحب إلي من أن أبيت أهذي القرآن»[2].

والقصص في هذا أكثر من أن يحصى.

فإذا حصل التفكر والتدبر نتج عنهما الفهم، وعنده يخشع القلب وتذرف العين لقيوم السموات والأرض، وهي المرحلة الثالثة.

ثالثا-أن نعيش مع كتاب الله خشوعا وبكاء:

قال الله تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾[الإسراء: 107-109] والخشوع هو الخضوع والتذلل وامتلاء القلب بالتعظيم والإجلال للحي القيوم، والخشوع يورث البكاء من خشية الله تعالى، وهو أمر محبوب مرغوب فيه ثابت بالكتاب والسنة.

ففي الكتاب اعتبره ربنا ﷻ من صفات الذين أنعم عليهم وهداهم واجتباهم من النبيين والصالحين ومن سار على نهجهم فقال تعالى بعد أن مدح بعض رسله: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا

---

[1] ــ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، 25/2 (رقم 6037).

[2] ــ انظر: التذكار للقرطبي، ص200.

واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾[مريم: 58] وقال أيضا: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ [المائدة: 83].

وفي السنة قال المصطفى عليه الصلاة والسلام:«اقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»[1]، وفعل "تباكوا" يفيد المفاعلة والمشاركة، والمراد: فإن لم تبكوا وأنتم تقرؤون القرآن، فاجلبوا البكاء بالاستماع إلى غيركم من أصحاب القراءة المخشعة المبكية، أو فإن لم تبكوا خشوعا لله لقسوة في قلوبكم فابكوا على حالكم السيء الذي وصلتم إليه، ولذا قال سيدنا معاذ ﷺ: «من بكى من خشية الله ﷻ غفر الله له ذنوبه، ومن تباكى أعطاه الله ﷻ أجر الحزين المصاب»، وقال ﷺ: «عينان لن تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله»[2]، ولقد كان حال المصطفى -عليه الصلاة والسلام- البكاء عند التلاوة، فروى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول ﷺ: «اقرأ علي، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل! قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان»[3]، قال العلماء: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر[4]. وكيف لا يبكي وهو الذي قال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»[5]، ولقد كان شأن السلف كذلك، فعن أبي صالح قال: «قدم الناس من أهل اليمن على أبي بكر ﷺ فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق: هكذا كنا»، وقالت أسماء بنت أبي

---

[1] -البزار في مسنده،69/4(رقم1235) وقال عن عبد الرحمن بن أبي بكر أحد رجال الإسناد: «لين الحديث».

[2] ـ رواه الترمذي في فضائل الجهاد (رقم 1636)؛ والطبراني في الأوسط (رقم 5779).

[3] ـ رواه البخاري في فضائل القرآن؛ باب البكاء عند قراءة القرآن؛ ومسلم في صلاة المسافرين؛ باب فضل استماع القرآن.

[4] ـ انظر: التذكار للقرطبي، ص199.

[5] ـ رواه الترمذي في الزهد؛ باب قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم...» (رقم 2314).

فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو فطال علي ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو»[1].

وهذا تميم الداري ﷺ كرر هذه الآية حتى أصبح، وهي ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[الجاثية: 21]، وقال القاسم: «رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[البقرة: 281] فرددها بضعا وعشرين مرة»، وقال محمد بن كعب: «لأن أقرأ "إذا زلزلت" و"القارعة" أرددها وأتفكر فيها أحب إلي من أن أبيت أهذي القرآن»[2].

والقصص في هذا أكثر من أن يحصى.

فإذا حصل التفكر والتدبر نتج عنهما الفهم، وعنده يخشع القلب وتذرف العين لقيوم السموات والأرض، وهي المرحلة الثالثة.

ثالثا-أن نعيش مع كتاب الله خشوعا وبكاء:

قال الله تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾[الإسراء: 107-109] والخشوع هو الخضوع والتذلل وامتلاء القلب بالتعظيم والإجلال للحي القيوم، والخشوع يورث البكاء من خشية الله تعالى، وهو أمر محبوب مرغوب فيه ثابت بالكتاب والسنة.

ففي الكتاب اعتبره ربنا ﷻ من صفات الذين أنعم عليهم وهداهم واجتباهم من النبيين والصالحين ومن سار على نهجهم فقال تعالى بعد أن مدح بعض رسله: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا

---

[1] ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، 25/2 (رقم 6037).

[2] ـ انظر: التذكار للقرطبي، ص200.

بكر –رضي الله عنهما–: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله ﷻ؛ ترى أعينهم تفيض من الدمع، وتقشعر جلودهم»[1].

فإذا حصل الخشوع والبكاء وامتلأ القلب بالتعظيم والحب للكريم المنان المتفضل علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، هيمن الحزن والندم على التقصير فيما مضى، وعقد العزم على الإقبال قدما إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي المرحلة الرابعة والأخيرة.

رابعا –أن نعيش مع كتاب الله تعالى منهجا وتطبيقا وسلوكا:

إن الكلام عن هذه المرحلة يطول ويطول لتسعه الكتب والمجلدات، والمقام يقتضي الاختصار، ولم أجد كلمة جامعة تؤدي المقصود سوى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[الذاريات: 56]، وقوله: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف: 40].

نعم معاشر المسلمين، إننا مطالبون بتحقيق العبودية لله وحده بجميع ما تحمله هذه الكلمة من معان: أرأيتم إلى العبد كيف يتصرف مع سيده في دار الدنيا؟ فهل يعصي له أمرا؟ بل هل يجرؤ أن يناقشه ويراجعه؟ مع أن سيده بشر مثله لا يملك له نفعا ولا ضرا، ولا موتا وحياة ولا نشورا، فما بالنا برب العالمين الذي خلق وقدر وهدى، وأمات وأحيا وإليه النشور؟ فيجب علينا أن نكون عبيدا له في كل زمان ومكان بأن نحكم شرعه في جميع شؤون حياتنا، في عباداتنا ومناسكنا ممتثلين قوله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾[الأنعام: 165]، وفي معاملتنا سواء كان ذلك على المستوى الداخلي فيما بيننا أو على المستوى الخارجي مع غيرنا؛ فبالنسبة للأول امتثالا لقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ [المائدة: 49]، وقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

---

[1] ـــ انظر: التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، ص211-212.

في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء: 65]. وبالنسبة للمستوى الخارجي مع غيرنا، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[المائدة: 51-52] ثم بين لنا ربنا الطائفة التي نعطيها ولاءنا ونصرتنا ومحبتنا فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[المائدة: 55] ثم وعدنا بالنصر والغلبة إن نحن والياهم فقال:﴿ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[المائدة:56]ومن أصدق من الله حديثا؟

ولئن عسر علينا حاليا تطبيق شرع الله في جميع شؤون حياتنا لما تعلمون، فإننا مطالبون بتطبيقه في حدود قدرتنا: على أنفسنا، وفي بيوتنا وفي أسواقنا وفي مدارسنا. ثم إننا مطالبون أيضا بالبذل والتضحية من أجل إيصال هذا الخير الذي أكرمنا الله به إلى جميع الناس.

وفي نهاية المطاف، قد نتساءل ولسان حالنا يقول: ما بالنا نقرأ القرآن ولا نتدبره إلا نادرا؟ وما بالنا نقرأه ولا تخشع قلوبنا ولا تذرف عيوننا خشية وتعظيما لقيوم السموات والأرض؟

والجواب عن ذلك: أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولقد صلح الجيل الأول فيما ظهر لي-والله أعلم -بأمور ثلاثة:

الأول: التلاوة بقصد الامتثال والعمل:

فلم يكن الرعيل الأول يقرأ القرآن في المناسبات خصوصا إذا كانت مآتم، ولم يكن يقرأ بقصد الثقافة والاطلاع، وإنما كان يتلقى القرآن ليعرف أمر الله ونهيه في حقه وحق أسرته ومجتمعه ثم يبادر إلى العمل به فور سماعه، وخير من وصف حالهم التابعي الجليل الحسن البصري -رحمه الله- حيث قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار». ورحم الله الشهيد سيد قطب الذي قال: «إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح؛ روح المعرفة المنشئة للعمل».

في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء: 65]. وبالنسبة للمستوى الخارجي مع غيرنا، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[المائدة: 51-52] ثم بين لنا ربنا الطائفة التي نعطيها ولاءنا ونصرتنا ومحبتنا فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[المائدة: 55] ثم وعدنا بالنصر والغلبة إن نحن والياهم فقال:﴿ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[المائدة:56]ومن أصدق من الله حديثا؟

ولئن عسر علينا حاليا تطبيق شرع الله في جميع شؤون حياتنا لما تعلمون، فإننا مطالبون بتطبيقه في حدود قدرتنا: على أنفسنا، وفي بيوتنا وفي أسواقنا وفي مدارسنا. ثم إننا مطالبون أيضا بالبذل والتضحية من أجل إيصال هذا الخير الذي أكرمنا الله به إلى جميع الناس.

وفي نهاية المطاف، قد نتساءل ولسان حالنا يقول: ما بالنا نقرأ القرآن ولا نتدبره إلا نادرا؟ وما بالنا نقرأه ولا تخشع قلوبنا ولا تذرف عيوننا خشية وتعظيما لقيوم السموات والأرض؟

والجواب عن ذلك: أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولقد صلح الجيل الأول فيما ظهر لي-والله أعلم -بأمور ثلاثة:

الأول: التلاوة بقصد الامتثال والعمل:

فلم يكن الرعيل الأول يقرأ القرآن في المناسبات خصوصا إذا كانت مآتم، ولم يكن يقرأ بقصد الثقافة والاطلاع، وإنما كان يتلقى القرآن ليعرف أمر الله ونهيه في حقه وحق أسرته ومجتمعه ثم يبادر إلى العمل به فور سماعه، وخير من وصف حالهم التابعي الجليل الحسن البصري -رحمه الله- حيث قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار». ورحم الله الشهيد سيد قطب الذي قال: «إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح؛ روح المعرفة المنشئة للعمل».

الثاني: تعظيم القرآن الكريم من حيث كونه كلام رب العالمين.

ومن مستلزمات ذلك أن نلتزم بالآداب التالية قبل تلاوته وأثناء التلاوة وبعدها.

أ- قبل التلاوة: أذكر منها:

1-الطهارة:لقوله ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر»[1].

بل لقد ذهب السلف في تعظيم المصحف إلى أبعد من ذلك، فقد ذكر الإمام القرطبي عن بعضهم أنه قال: «ما دخلت بيتا منذ ثلاثين سنة وفيه مصحف إلا وأنا على وضوء»[2].

2-الاستياك والتطيب، لقوله ﷺ: «نظفوا أفواهكم فإنها مجاري القرآن»[3].

3-الجلوس من غير اتكاء ما لم تدع الحاجة،مع وضع المصحف بين الأيدي أو في مكان مرتفع

4-استقبال القبلة لقوله ﷺ: «إن لكل شيء سيدا، وإن سيد المجالس قبالة القبلة»[4].

5-استشعار عظمة الباري وعقد نية الامتثال.

6-الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم مع حضور القلب وفهم معانيها لأنها طلب الدخول في حصن الله قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[النمل: 91-99].

ب-أثناء التلاوة: أذكر منها:

1- عدم قطع القراءة وعدم تخليلها بكلام الآدميين من غير ضرورة، فقد روى البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهم: «أنه كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»[1].

---

[1] ـ مالك في الموطأ، كتاب القرآن، 199/1 (رقم 469).

[2] ـ انظر: التذكار للقرطبي، ص174.

[3] ـ ذكره السيوطي في الجامع الكبير ونسبه للديلمي من حديث أنس ﷺ.

[4] ـ رواه الطبراني في الأوسط (رقم 2354) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: سنده حسن.

2-الوقوف عند آيات الوعد والوعيد وأمثالها، والدعاء والتدبر والمحاسبة، ولذا قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: «البكاء مستحب مع القراءة وعندها، وطريقة تحصيله أن يحضر في قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن أو بكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه أعظم المصائب»، وقد روى حذيفة -رضي الله عنه- قال: «صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فكان إذا مر بآية فيها تنزيه لله تعالى سبح، وإذا مر بآية سؤال سأل، وإذا مر بآية فيها عذاب تعوذ»[2].

3-مراعاة سجود التلاوة، وإذا كان الموضع لا يسمح له بذلك سبح الله ثلاثا.

ج-بعد الانتهاء من التلاوة:

أذكر منها:

1-يصدق الله تعالى ويدعو بما تيسر كما ذكر الإمام القرطبي وغيره.

2-عدم ترك المصحف منشورا، وعدم وضع شيء فوقه بل ينبغي أن يكون مرفوعا دائما.

3-الاستمرار في التلاوة وعدم هجر المصحف، فقد سئل النبي ﷺ عن أحب الأعمال فقال: «الحال المرتحل، قيل:وما الحال المرتحل؟ قال:"الخاتم المفتتح»[3]، أي كلما انتهى من ختمه ابتدأ أخرى.

هذه جملة الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء التلاوة.

---

[1] ـ البخاري في كتاب التفسير؛ باب "نساؤكم حرث لكم" الآية، 1645/4 (رقم 4253).

[2] ـ رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص79؛ والنسائي في افتتاح الصلاة، 177/2؛ وابن ماجه في إقامة الصلاة، 429/2.

[3] ـ رواه الترمذي في فضائل القرآن (رقم 2949)؛ والدارمي في فضائل القرآن (رقم 3478). وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي. ثم ذكر رواية أخرى عن صالح المري عن قتادة... نحوه، وقال: هذا عندي أصح من حديث نصر -يعني الرواية الأولى-.

وأما إذا كان غيرنا هو القارئ، فعلينا أن نصغي إلى قراءته جيدا ممتثلين قوله تعالى:﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾[الأعراف: 204].

ومن الأمور التي يندى لها الجبين وتقشعر لها الأبدان -خصوصا في المناسبات- أن يتلى كتاب الله تعالى والناس بدنياهم عن الاستماع إليه منشغلون، وإلى الله المشتكى.

الثالث:الحب:

وأقصد به حب الله تعالى، فهو رأس مالنا، بل هو مفتاح كل خير؛ عرف ذلك من عرف وجهله من جهل، فمن أحب الله تعالى أقبل بكله على كتابه وتدبر آياته ليعرف أمره فيمتثله، ويعرف نهيه فيجتنبه

أتعصي الإله وتدعي حبه *** إن المحب لمن يحب مطيع

بل إنك تجد هذا الشخص المحب لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إذا مر بآية من غير أن يتدبرها ويتفهم معانيها، ولكي يزداد الأمر وضوحا أضرب لكم مثلا: أرأيتم إلى ذلكم الرجل الذي جاءته رسالة من صديق أو قريب عزيز عليه، كيف يقبل على تلكم الرسالة بكل كيانه ومشاعره وعقله مغيب عمن حوله وهو منهمك في قراءة الرسالة وتكرير قراءتها لمرات عديدة لتفهم معانيها، بل إنه يشم رائحة صديقه وحبيبه من خلال أسطرها؟ وصدق الشاعر إذ قال:

أمر بذي الديار ديـــار ليلى *** فأقبل الجـــدار تلو الجـــدار

وما حب الديار شغفن قلبي *** ولكنه حب من سكن الديار

فإذا أقبلنا على كتاب ربنا بهذا الشعور؛ شعور الإله الخالق الرازق المنعم المتفضل ...الذي يكلؤنا بالليل والنهار وإليه النشور ...عندها: أفلا نتدبر كتاب ربنا؟ أفلا تخشع قلوبنا وجوارحنا وتذرف عيوننا؟ أفلا نتخذه منهجا وسلوكا في حياتنا وجميع شؤوننا؟

أظن، بل أجزم أن الله تعالى أكرم من أن يخيب ظننا ويكسر خواطرنا، فاللهم لطفك وعفوك وسترك يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

صحيح البخاري:أبو عبد الله البخاري،ت:د.مصطفى البغا، دار العلوم،دمشق،ط2(1413هـ 1993م).

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث-بيروت.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علاء الدين بن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2 (1414هـ-1993م).

صحيح ابن خزيمة: أبو بكر بن خزيمة، ت: د.محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط2 (1412هـ-1992م).

سنن أبي داود: أبو داود السجستاني، ت: عزت دعاس، دار ابن حزم-بيروت، ط1 (1418هـ-1997م).

سنن الترمذي أبو عيسى الترمذي،ت:أحمد شاكر،دار الحديث،القاهرة،ط1(1419هـ 1999)

سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي، مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط2 (1412هـ-1992م).

سنن الدارمي: أبو محمد الدارمي، ت:حسين سليم الداراني، دار المغني-الرياض، ط1(1421هـ).

المعجم الكبير: أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد، ط2.

المعجم الأوسط: أبو القاسم الطبراني، ت: د.محمود الطحان، مكتبة المعارف-الرياض، ط1 (1405هـ-1985م).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي، دار الفكر-بيروت: ط(1414هـ-1994م).

المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، إشراف: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة-بيروت.

السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، طبعة دار الفكر-بيروت.

المسند:أحمد بن حنبل، فهرسة ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت.

سنن ابن ماجه، محمد يزيد بن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

المصنف: ابن أبي شيبة، الدار السلفية، بمبي-الهند، ط2 (1399هـ-1979م).

الجامع الكبير: جلال الدين السيوطي.

الموطأ (رواية يحيى): مالك بن أنس، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط(1406هـ-1985م).

تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت.

المقدمة الجزرية: محمد بن الجزري، ت: أيمن رشدي السويد، جمعية القرآن الكريم بجدة-السعودية.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، دار الفكر-بيروت، ط(1414هـ1993م).

إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار الفكر-بيروت.

سراج القارئ المبتدئ: ابن القاصح، دار الفكر-بيروت.

القول السديد في بيان حكم التجويد: محمد بن علي الحسيني، طبعة بابي الحلبي-القاهرة.

النشر في القراءات العشر: محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية-بيروت.

التذكار في أفضل الأذكار: أبو عبد الله القرطبي، ت: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان-السعودية، ط4 (1413هـ1992م)، دمشق-بيروت.

المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني، ت: د.يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة-بيروت.

المفيد في التجويد: شهاب الدين الطيبي، مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، ضمن مجموع رقمه (3624).

فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية-بيروت.